

(العناصر النحوية ودورها في التوجيه الدلالي في قصيدة /وصف الحمى/ للمتنبى)

* علي أنيس طوفان

(تاريخ الإيداع ٢٠٢٥/ ٥/٢١ . قُبِلَ للنشر في ٧/٦ / ٢٠٢٥)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث أثر العناصر النحوية التركيبية في توجيه الدلالات النصية، وإنتاج المعاني الدقيقة في قصيدة أبي الطيب المتنبى في وصفه للحمى التي لَحَقَتْ به في مصر، إضافةً إلى إظهار مدى فعالية هذه العناصر في بناء النصّ الشعريّ، وإثراء صورته الشعرية من خلال توضيح الدلالات السطحية منها والعميقة، التي تختزنها التراكيب النحوية، وتوجّهها بالشكل الذي يوافق البنية الشعرية، فوقع البحث على دراسة العناصر النحوية التي أظهرت حضوراً واضحاً، وبصمةً دلاليةً في قصيدة المتنبى المذكورة آنفاً، وما لها من أثرٍ في إغناء المعنى الشعري عند أبي الطيب، وإبرازه في قالبٍ تركيبِيٍّ يحملُ في طيّاته ملامح القوة والجمال، كما سيتناول البحث فاعلية هذه العناصر النحوية من جهة توظيفها المنسجم مع السياق، ومراد الشاعر .

الكلمات المفتاحية: (العناصر النحوية، الدلالة، التوجيه الدلالي، التراكيب، المتنبى، وصف الحمى).

*حاصل على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية -التخصص الدقيق : النحو والصرف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة طرطوس

The Grammatical elements and their role in the) semantic guidance in a poem described fever for feminist

***ALI ANEES TOUFAN**

(Received 21/5 /2025. 6 /7/2025)

□ **ABSTRACT** □

-this research is a bout the effect of linguistic and features in directing the textual indication, and producing synthetic the accurat meaning in ABY ALTAYEEB ALMUTANABYS poem in which he talked about his fever in EGYPT, beside releaving the poetical images through clarificating the deep and superficial indications which are storing the linguistics structures and directing it in the form that agreeing the poetics structure ,the research spote the light on studying the linguistic features which seem clearing presence and pointing print in this poem, in addition to its effect in reaching the poetical meaning of ABY ALTAYEEB, and emerging it in synthetic form carrying the eloquence and aesthetic features as the research has the effectiveness of these linguistic features and it's harmony with the noun context and the speaker's intended

KEYWORDS: (linguistic feature, indication, structure, indicatal direction, ALMUTANABY, the fever)

- مقدمة -

إنّ الدرس النحوي مجالٌ علميٌّ واسعٌ، تتعدّد قضاياه واتجاهاته، كذلك علمُ الدلالة؛ فهو يُعدّ فرعاً مهماً من فروع علم اللغة، واللغة هي موضوع علم اللغة، وُضِعَتْ للتعبير والتدليل عما في نفس متكلّمها، كلّ الجوانب اللغوية تهدفُ إلى تبيان المعنى على نسقٍ واضحٍ سهل الفهم، وكما يقول الدكتور محمود عكاشة: "جميع فروع اللغة تُشاركُ في الدلالة، ولا يمكن الفصلُ بينها وبين علم الدلالة، فكلّ فرعٍ منها يُسهّمُ بدوره في الدلالة في إطار مجاله" (١)، إضافةً إلى ذلك، فإنّ النحو يشاركُ بنصيبٍ كبيرٍ في الدلالة، كلّ جملةٍ تؤدي معنىً أو دلالةً تتأثّر بالصلة التي تربط بين أجزاء تركيبها، وترتيبها، لأنّ تباين الكلمات، واختلاف ترتيبها يؤثّران في دلالة الجملة ووجهتها، إضافةً إلى أنّ وضع التركيب النحوي متوقّفٌ على السياق اللغوي، فالكاتب يختار التراكيب التي تناسب في منحها الدلاليّ السياق الذي تردُّ فيه، كذلك فإنّ وظيفة علم النحو هي الكشف عن المعنى وإظهاره، ومعرفة مواقع الكلمات في الجمل، ووظائفها في التركيب، كلّ ذلك سيُمكنُ البحث من دراسة العناصر النحوية، وما تؤدّيه من دلالاتٍ غنيّةٍ في قصيدة وصف الحمى للمتنبّي، علاوةً على ذلك، إظهار الأثر الدلاليّ لهذه العناصر في إطار تراكيبها، وسياقاتها، وما يرتبط بها، كل ذلك دفع البحث نحو إبراز الأنماط التركيبية التي وقعت فيها العناصر النحوية، والبحث في دلالاتها وأثرها، فقد وقع اختيار البحث على النصّ الشعريّ ليكون مجالاً يكشف التراكيب النحوية ووجهتها الدلالية، السبب في ذلك أنّ الشاعر يوظّف عناصرَ نحويّةً ينظّمها ضمنَ قوالبٍ تركيبيةٍ تُمثّلُ تعبيراته ومراده.

-قصد هذا البحث بالعناصر النحوية؛ المكونات النحوية المؤلّفة للتراكيب اللغوية، وأنواعها، وصورها، ودلالاتها على المستوى الظاهر، والمستوى الباطن، وما تنتجه من قيمٍ إضافيةٍ دلاليةٍ تؤثرُ في توجيه الدلالة النصية وتقويمها، هذا لأنّ الوقوف أمام أسلوب المتنبّي المُنسجم، وتراكيبه المتينة جذبَ أنظار البحث نحو دراسة العناصر النحوية، ودورها في إنتاج الدلالات النصية، وتوجيهها في قصيدة وصف الحمى.

-تسهّمُ العناصر النحوية في إظهار البناء اللغوي مظهرَ البناء المتكامل المتناسق في شكله، وأبنيته، وسياقاته، لأنّ هذه العناصر تنشأ بينها علاقاتٌ نحويةٌ تركيبيةٌ راسخةٌ في بنية التركيب النحوي، كما أنّها تؤدي المعاني بدقة، وتتحكّم في الدلالة التركيبية، وتوجّه أبعادها، الأمر الذي يجعل البحث قادراً على تحفّص العناصر النحوية في قلبها التركيبي، والإحاطة بكلّ خيوطها، وما تؤدّيه من أبعادٍ دلاليةٍ ذاتِ قيمٍ جماليةٍ مُضافة، يُضافُ إلى ذلك، إدراك مدى التأثير الذي يولّده التركيب النحوي بفضل العناصر النحوية المكوّنة لبنيتها في الذهن، يتمّ ذلك من خلال وضع هذه العناصر تحت عدسة البحث والتحليل في قصيدة المتنبّي (وصف الحمى).

-يتمثّل موضوع البحث في دراسة مسألةٍ مهمةٍ ودقيقةٍ ومتفرّعةٍ هي (العناصر النحوية وتوجيه الخط الدلالي)، والكشف عن الأبعاد والمعاني الدلالية التي تمنحها العناصر النحوية للخطاب الشعريّ عند المتنبّي، وأثرها في إضاءة الجوانب الدلالية للنصّ، والآثار البلاغية الناجمة عنها.

-يكتسب هذا البحث أهميته من خلال إبراز الدلالات المتنوّعة للعناصر النحوية في سياقها التركيبي، وتوجيه أنظار البحث نحو تحليل العناصر النحوية المُركّبة للجمل اللغوية، وتبيان مدى انسجامها وتفاعلها مع البنية الشعرية ومعانيها في قصيدة المتنبّي (وصف الحمى).

(١) محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات-القاهرة، ط٢، ٢٠١١م، ص٩.

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

- ١-دراسة العناصر النحوية دراسة دلالية نحوية بلاغية في قصيدة وصف الحمى.
 - ٢-إظهار دور العناصر النحوية في توجيه دلالات السياق، والأبعاد الجمالية التي تفرزها في بنية النص الشعري .
 - ٣-استنطاق القيم الإضافية التي تحملها العناصر النحوية، والأثر الذي تتركه لدى المتلقي.
 - ٤-محاولة الربط بين العناصر النحوية والنظم الشعري عند المتنبى.
 - ٥-محاولة الربط بين العناصر النحوية والدلالات النصية، وتبيان دور هذه العناصر في إنتاج المعاني الدلالية، وإثراء بلاغة النص.
 - ٦-إظهار دور العناصر النحوية في تنمية اللغة الشعرية في قصيدة المتنبى(وصف الحمى).
- سيعتمد البحث المنهج الوصفي الذي يقوم بوصف الظواهر وتحليلها، واستقراء المسائل واستجلاء أبعادها، حتى يخرج البحث بالنتائج الوافية.
- تقتضي مادة البحث تقسيمه وفق الخطة الآتية:
- مقدمة ، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة .
- تناول البحث في المقدمة عرضاً لمادة البحث، وأهمية المادة العلمية المطروحة للدراسة، كما جرى عرض جملة من الأهداف المراد تحقيقها، والحديث عن المنهج المتبع في دراسة موضوع البحث.
- سيتناول البحث في التمهيد؛ التعريف بالشاعر، وعرض موجز لخبر قصيدة وصف الحمى، والأفكار التي تتبناها.
- فيما يخص مباحث البحث؛ في المبحث الأول الموسوم(النحو وتوجيه الدلالة)؛ سيتم سرد الإطار النظري المتمثل في ثلاثة محاور، المحور الأول؛ يتضمّن الحديث عن علاقة النحو بعلم الدلالة، والصلة بينهما، أمّا المحور الثاني؛ فسيعرض الصور الدلالية لعناصر الجملة اللغوية، وأمّا المحور الثالث؛ فسيستهلّ الحديث عن فكرة وظيفة الإعراب في الدلالة وتوجيهها.
- أمّا في المبحث الثاني الموسوم(العناصر النحوية وتوجيه الدلالة التركيبية في قصيدة/وصف الحمى /)؛ فستتم دراسة العناصر النحوية المكوّنة للتركيب النصية من مثل: التركيب الاسمي، الفعلي ، الإضافي، والأدوات النحوية، وما تبديه من أثرٍ دلاليّ، وقيمٍ مضافةٍ تمنحها هذه العناصر بتضافرها للنسيج النصي عند المتنبى في قصيدته.
- أمّا المبحث الثالث الموسوم(العناصر النحوية والدلالة على المعنى في قصيدة/وصف الحمى/)؛ فسيكون بحثاً ودراسةً في أنواع الدلالة التي تفرزها العناصر النحوية، إضافةً إلى الكشف عن دور هذه العناصر في تحديد طبيعة دلالة التركيب اللغوي، والدلالة على المعنى في قصيدة (وصف الحمى).
- في الخاتمة؛ سيقدم البحث بجملة مما توصل إليه من نتائج.

٢. تمهيد

أبو الطيّب المتنبى كما قالت عنه كتب التراث الأدبي: "شاعرٌ عربيٌّ حكيمٌ شهيرٌ عُرف بشخصيته المميزة وما كان يكتنفها من غموض، شعره حيرَ الناس واستعصى عليهم فهم مقاصده، وهذا سبب دعوته من قبل ابن

رشيق القيرواني بمالي الدنيا وشاغل الناس، وتجدر الإشارة إلى أنّ شاعراً لم يحظَ شعره بما حظي به شعر المتنبي من اهتمامٍ وعنايةٍ، فقد قام بشرحه أفاض اللغة وعلماؤها من مثل ابن جني، واللغوي المعروف ابن سيده، كذلك فقد ترك المتنبي وراءه عدداً كبيراً من القصائد التي عُدَّت سجلاً تاريخياً للأحداث التي مرّ بها في فترة القرن الرابع^(١).
-قصيدة (وصف الحمى): "قصيدة مشهورة وصف فيها المتنبي الحمى التي أصابته في مصر، وليت الأمر اقتصر على هذا الداء، ولكن الأمراض النفسية والاجتماعية تراكمت عليه دفعةً واحدةً، فكافور يماطله، ويؤجل مطالبه، والحُساد تكاثروا عليه هناك، ثم جاءت الحمى لتزيد الطين بلة".^(٢)

*-المبحث الأول: (النحو وتوجيه الدلالة):

١- علاقة النحو بعلم الدلالة:

إنّ دلالات التعبير النحوي العربي تسير في طور التغيّر، ومعانيه تتحوّل، وربّما كان من الصعوبة معرفة الأصل للدلالة، كما تحكّم الجملة اللغوية عناصرٌ نحويةً معينة، فهي تتركّب من عنصرين أساسيين هما/المسند، المسند إليه/، فهذان العنصران هما عمدة الكلام، وما عداهما فضلة أو قيد، وكلّ عنصرٍ نحويّ يكوّن مع رديفه العنصر الآخر دلالة مقصودة، يؤديانها ضمن التركيب والسياق اللغوي الحاكمين، انطلاقاً من هذه النقطة، تجاوز النحاة الاهتمام بدراسة النحو بوصفه قواعدً شكليةً تُنظّم عليها الكلمات إلى البحث في ميدانٍ أوسع تجاوز الشكل والوظيفة النمطية للفظ في التركيب، درس النحويون الجمل في إطار المعنى، فعالجوا دلالة الجملة في ضوء مستويات التحليل اللغوي، كذلك عمدوا إلى تفكيك الجمل إلى وحداتٍ دلاليةٍ، فبحثوا دلالة الزمن، والجنس، وبحثوا وظائف عناصر التراكيب النحوية، كما اتجهوا إلى دراسة دلالة الكلمة المفردة، وحروف المعاني التي تؤدّي دلالات في بنية التركيب، وما لها من أثرٍ في مسألة توجيه المعنى.

علمُ الدلالة علمٌ لغويٌّ مهمٌّ، ولاسيما في ميدانِ الدرس النحوي، فإنّ الجملة اللغوية إذا كانت غير مركّبة نحويّاً فلا قيمة لدلالاتها ولا صحّة لها، علم الدلالة كما يقول في تعريفه الدكتور عكاشة: "العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير، ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء كان الرمز لغويّاً، أو غير لغوي...."^(٣)، بناءً على الكلام السابق، يمكن توكيد فكرة مهمة تقول بارتباط الدرس النحوي بعلم الدلالة، فإنّ اختلاف الكلمات، واختلاف الترتيب يؤثّران في دلالة الجملة، فعندما نقول (دخل أحمد الدار)، (دخل محمد اللحد)، (دخل زيدٌ عش الزوجية)؛ فمعنى التركيب الأول معلوم، ومعنى التركيب الثاني: الموت، ومعنى الثالث: زواج زيد، إضافةً إلى أنّ اختلاف ترتيب أجزاء التركيب له أثر في اختلاف توجيه دلالة الجملة، كما يؤكّد هذا المبدأ الدكتور فاضل السامرائي في كتابه/معاني النحو/ذلك عندما قال: " /يُقبِلُ سعيدٌ/ و /سعيدٌ يُقبِلُ/؛ فإنّ تقدّم /سعيد/ في الجملة الأولى، أو تقدّم /مُقبِلُ/ في الجملة الثانية نظرنا في سبب ذلك... كلا التعبيرين بدرجة واحدة بالنسبة إلى المخاطب، فكلاهما إخبار أولي، والمخاطب خالي الذهاب عن الموضوع... إلا أنّ الفرق بينهما-كما ذكرت- أنّ الفعل يدل على الحدث والاسم

(١) ينظر: طه حسين: مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، مصر، ط٢، ص١٤٥-١٤٩.

(٢) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٨٠م، ٤/٤٥.

(٣) محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤-٥.

يدل على الثبوت." () ، نخلص من خلال العرض السابق إلى حقيقة الرابط المتين بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي، فالنحوي يختص بتنظيم الكلمات في جمل وتراكيب، كما يوضح وظائف هذه الكلمات في سياق الجملة، كما يبين الأثر الدلالي الناجم عن اختلاف موقع الكلمة في سياق التركيب أو الجملة، كما يتجه النحو نحو تعيين فاعل للجملة، ذلك بوضع مفرداتها مرتبة إن التباس المعنى، ذلك أن وضع العناصر النحوية في الترتيب الدقيق والمعهود من ضوابط النحو يمحو أثر التباس المعنى.

٢- الإيحاءات الدلالية لعناصر الجملة:

إن دلالات الكلمات تفرض على المتكلم إيجاد عمليات إسنادية معينة، ولا تسمح له بتكوين عمليات إسنادية أخرى، فالاسم يدل على معنى مستقل، هو ذات يُسند إليها معنى، ويُخبر عنها به، هذا ما رسمه ابن السراج عندما قال: "الاسم ما جاز أن يُخبر عنه نحو قولك: عمرو منطلق...والفعل: ما كان خبراً، ولا يجوز أن يُخبر عنه نحو قولك: أخوك يقوم، وقام أخوك، فيكون حديثاً عن الأخ، ولا يجوز أن تقول: ذهب يقوم...والحروف ما لا يجوز أن يُخبر عنها ولا يجوز أن تكون خبراً" () ، نجد من العرض السابق أن ابن السراج صاغ القاعدة في توجيه دلالة التركيب من رؤية تأليف الكلام وإنتاجه بأقسام معينة مكونة من العناصر النحوية الآتية: ائتلاف الاسم مع الاسم، ائتلاف الاسم مع الفعل، والفعل لا يأتلف مع الفعل، والحرف لا يأتلف مع الحرف/، كما أن الذات قد تقوم بفعل ما يُعبر عنه المتكلم عند مشاهدته بجملة متعددة مكونة من عنصري الفعل والفاعل، فيقول المتكلم: جلس محمداً، وأكل عليّ العنب، أو قد يتصف الفاعل بالفعل، ويتقبله إذا كان الفعل غير اختياري، وليس للفاعل حرية القيام به، مثل: مات الرجل، كما يشترك الاسمان في النسبة الإسنادية عندما يُعبر المتكلم عن اتصاف الأشياء التي يعلمها بصفات معينة، فيقول: (الرجل عالم)؛ في حال علم المتكلم الرجل، وأدرك صفة العلم فيه، إضافة إلى ذلك، يتكون التركيب من عناصر نحوية مختلفة البنية، وتسهم في توجيه دلالاته، مثل أن يتكون التركيب من اسم وجملة؛ عندما ينسب المتكلم للاسم فعله الذي قام به أو اتصف به، فيقول: (أخوك يمشي في الطريق الخطأ)؛ فالتكلم يرى الأخ، ويرى قيامه بفعل المشي في الطريق الخطأ، فنسب هذا الفعل إلى الأخ لأنه قام به، ثم نسب هذا التركيب الإسنادي إلى الأخ ثانية، ليبين أن الأخ هو الذي قام بالمشي في الطريق الخطأ، ولو قال المتكلم: (يمشي أخوك في الطريق الخطأ)، فقد نسب الفعل فقط إلى الأخ، كما أن الفعل دال على حدث وزمن، فلا يُقبل الإسناد إليه، وإنما يقع مسنداً إلى الاسم، ويُخبر به عن الاسم.

إذا ذهبنا إلى سيبويه، فنسجد يظهر لنا العناصر النحوية المكونة للتركيب التام، ويرسّم بعداً مهماً يتمثل في أن العقل عندما ينظر إلى الكلمات، يضعها في ترتيب خاص، فينتج بذلك تركيباً مفيداً، يحمل معنى تاماً، العناصر النحوية عنده تقع في هياكل تركيبية معينة، تُحقّق عبرها الفائدة الدلالية التامة، فيقول سيبويه مشيراً إلى ذلك: "الذي يصحّ به فائدة على وجهين، جملة من اسم مع اسم أو اسم مع فعل...وأما الفعل فأمثلة أُخِدت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع.. وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل.." () ، كذلك يصف الرضي الاسترادي العناصر النحوية المكونة للتركيب الإسنادي في قوله: "أحد أجزاء الكلام هو الحكم، أي الإسناد

(٢) فاضل السامرائي: معاني النحو، دار السلاطين للطباعة والنشر والتوزيع-الأردن، عمان، ط١٠، ١٦/١.

(إينظر: محمد بن سهل بن السراج: الأصول في النحو، تح.د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٦م، ٣٧/١.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، الناشر. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ١٢/١.

الذي هو رابطة، ولا بد له من طرفين: مسند ومسند إليه. والاسم بحسب الوضع يصلح لأن يكون مسنداً ومسنداً إليه، والفعل يصلح لكونه مسنداً لا مسنداً إليه، والحرف لا يصلح لأحدهما. والتركيب الثنائي بين الثلاثة... لا يعدو ستة أقسام: الاسمان، والاسم مع الفعل أو الحرف، والفعل مع الفعل أو الحرف، والحرفان. فالاسمان يكونان كلاماً؛ لكون أحدهما مسنداً والآخر مسنداً إليه، وكذلك الاسم مع الفعل؛ لكون الفعل مسنداً والاسم مسنداً إليه" (١)، من الكلام السابق نستنتج أن التركيب النحوي لا تستقيم معانيه، ولا تُنتج دلالاته، ولا تتحقق الفائدة منه إلا بخضوع عناصره النحوية المكونة له لعلاقة الإسناد، وأن تتصافر بعضها ببعض في إنتاج الدلالة، ذلك أن العناصر النحوية من جهة طبيعتها وما يتأتى منها، ويتصل بها تتحكم بالتركيب، ويتوجه دلالاته، أما إذا ذهبنا إلى الصبّان النحوي في حاشيته، فسنراه يرسم خطأً دلاليّاً في صورة تأليف الجملة، فتأليف الجملة في اللغة يظهر بصورتين تبعاً للمسند هما: فعل مع اسم، واسم مع اسم، وبالتعبير الاصطلاحي: فعل وفاعل أو نائبه، ومبتدأ وخبر، كما نجد أنّ الجمل الأخرى إنما هي صور أخرى لهذين الأصلين، فعند الصبّان نجد صورتين هما كما يقول: "الفعل يدلّ على التجدد والحدوث، والاسم يدلّ على الثبوت، فإذا أردت الدلالة على الحدوث جئت بجملة مسندها فعل تقدّم الفعل أو تأخر، وإذا أردت الدلالة على الثبوت جئت بجملة مسندها اسم. فالجملتان يجتهد زيدٌ ويجتهد كلتاها تدلان على الحدوث..." (٢)، نستنتج من كلام الصبّان أنّ العناصر النحوية المكونة للجملة هي الفيصل الأساس في الحكم على دلالتها، فالصورة الأساسية للجمل التي مسندها فعل، أن يتقدّم الفعل على المسند إليه، والصورة الأساسية للجمل التي مسندها اسم، والفاعل والخبر لا يتقدّمان إلا لسبب يقتضيه المقام أو طبيعة التركيب، فالجملة التي مسندها اسم تحمل دلالة الثبوت، والتي مسندها فعل تدلّ على الحدوث والتجدد، أما في حال ذهبنا إلى ميدان الدرس الحديث، نجد أنّ الباحثين المحدثين لهم نظرات خاصة مختلفة، لكنهم في النهاية انطلقوا في تحليلاتهم ونظرياتهم من عباءة القدماء، ولم يقدروا على الخروج من عباءتهم، من طائفة هؤلاء الباحث (الحاج صالح عبد الرحمن) الذي يُعرّف التركيب النحوي التام الذي ترسمه عناصره عبر العلاقة الإسنادية فيما بينها، فيقول: "الجملة نواة لغوية تدلّ على معنى، وتفيد فائدة..." (٣)، هذا التعريف يلتقي بتعريف النحاة القدامى في تصوّرهم لمفهوم الإسناد ومفهوم الفائدة، فالجملة اللغوية في نظرهم هي ما تركّب من عنصرين هما /المسند، المسند إليه/، الواضح في التعريفات المذكورة أنّها أنّ الجملة لكي تؤدّي المعنى بدقة يجب أن تتركّب من العناصر النحوية الإسنادية، أما عند الدكتور تمام حسان فتترابط العناصر النحوية وتتلاقى في بوتقة واحدة حتى يتكوّن التركيب التام، فنجده يقول: "وليس الجملة مجرد طبقات تراكمية من المفردات دون علائق ترابطية تسري في عناصرها، بل علائق كعلاقة الإسناد، والإسناد لا يكون إلا بين اسمين كالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والفعل ونائب الفاعل، والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله" (٤)، كما نجد عند الدكتور إبراهيم أنيس حديثاً عن الجملة المركبة من العناصر النحوية التي تُعطي الجملة اللغوية معنىً مستقلاً ومفيداً،

(١) محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي: شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس-ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م، ٣٣/١-٣٤.

(٢) ينظر: محمد بن علي الصبّان الشافعي: حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح. د. عبد الحميد هندوي، المكتبة العصرية-بيروت، لبنان، مج١، ط١، ١٩٩٧م، ٢١٠/١.

(٣) الحاج صالح عبد الرحمن: مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة في علم اللسان البشري، جامعة الجزائر، ط١، ١٩٧١م، ص٦٥.

(٤) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب-مصر، ط٢، ١٩٧٩م، ص١٩٤.

فيقول: "الجملة أقل قدر من كلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، لأنه ليس لازماً أن يحتوي لفظ على العناصر المطلوبة كلها" () ، أما بالنسبة للدكتور مهدي المخزومي فينظر إلى التركيب المفيد نظرة مختلفة، فيقول في تعريفه: "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في لغة من اللغات، وهي المركب الذي يُبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم" () ، نجد من الكلام السابق أن المخزومي ينظر إلى الجملة على أنها الوحدة الكلامية الصغرى، الجملة الصحيحة نحويًا ولغويًا هي الجملة التي تألفت عناصرها النحوية بعضها ببعض، واتحدت لترسم صورة المعنى بقلب واضح في ذهن المتكلم، من العرض السابق للصور التي تظهر فيها العناصر النحوية نستنتج أن الأساس في توجيه دلالة الجملة محصور في عناصرها النحوية المكوّنة لبنيتها، والتراكيب اللغوية المفيدة تتنوع، ومن جهة أخرى تؤثر في تنوع المركبات الكلامية، ما يشير إلى أن العقل يتلقى المعرفة من المحيط الخارجي، ويبعد لها معاني، ويصوغ لها ألفاظاً، ثم يبحث عن العلاقات الدلالية بينها، وتلك العلاقات منتجة من مصادر المعرفة لدى المتكلم.

٣- وظيفة الإعراب في الدلالة:

يُعدّ الإعراب من أبرز الظواهر في العربية، ومن أهم عناصر الجملة فيها، فالإعراب لغةً هو الإبانة عما في نفس المتكلم، هو مصدر الفعل (أعرب)، ومعنى (أعرب) أبان، يقال على سبيل المثال: أعرب الرجل عن حاجته؛ أبان عنها، والإعراب بوصفه مصطلحاً نحويًا تناوله النحاة في كتب التراث، يقول ابن هشام الأنصاري في شرح شذور الذهب: "للإعراب معنيان لغوي واصطلاحي، فمعناه اللغوي هو الإبانة. يُقال: أعرب الرجل عما في نفسه إذا أبان عنه وفي الحديث (البكر تستأذن وإذنها صماتها.... والأيم تعرب عن نفسها)؛ أي تبين رضاها بصريح النطق" () ، كما ورد تعريف آخر للإعراب من الوجهة البيانية، ذلك في كتاب (الإيضاح في علل النحو) لأبي القاسم الزجاجي: "الإعراب أصله البيان. يقال أعرب الرجل عن حاجته إذ أبان عنها، ورجل مُعرب أي مُبين عن نفسه. ومنه الحديث (الثيب تعرب عن نفسها...)، هذا أصله،..... وإعراب الحركات عن معاني اللغة. وليس كل حركة إعراباً، كما إنّه ليس كل الكلام مُعرباً" () ، أما ابن جني فقد أورد حديثاً في كتابه (الخصائص) عن مصطلح الإعراب، فنجده يتطرق بشدة للمعنى اللغوي الذي هو الأصل لمعنى الإعراب في الدرس النحوي، فيقول مصرحاً: "الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً..... لاستبهم أحدهما من صاحبه" () ، ثم نأتي إلى علم من مهم من أعلام المحدثين في البحث النحوي هو الدكتور فاضل السامرائي الذي عرض لظاهرة الإعراب بحثاً طويلاً، وأفرغ فيه جهداً كبيراً، فنجده يقول في مسألة الدعوة إلى الإعراب والحاجة إليه: "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة، ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة،

(١) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، المكتبة المصرية-القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) مهدي المخزومي: في النحو العربي-نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية-صيدا، بيروت، ص٣١.

(٣) ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، حقوق الصّف والتصميم والنشر محفوظة للناشر-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٧م، ص٢٣.

(٤) أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح. د.مازن مبارك، دار النفائس للنشر والتوزيع-بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٦م، ص٩١.

(٥) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار المعارف-القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٢م، ص٣٥/١.

جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها ثنبيء عن هذه المعاني فقالوا: ضرب زيدٌ عمرًا فدلّوا برفع زيد على أنّ الفعل له، وينصب عمرو على أنّ الفعل واقعٌ به. وقالوا (ضُربَ زيدٌ) فدلّوا بتغيير أول الفعل، ورفع زيد على أنّ الفعل لما لم يُسمّى فاعله، وأنّ المفعول قد ناب منابه. وقالوا: (هذا غلامٌ زيدٌ) فدلّوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه^(١)، من خلال قراءة الكلام السابق نستنتج أنّ النحاة جعلوا الحركات الإعرابية دلائل على المعاني، كما أنّ العناصر النحوية في الجملة تمتلك توظيفاً دلاليّاً خاصاً توجّه بواسطته دلالاتها سطحاً وعمقاً، أمّا الحركات التي تختلف في أواخر الكلم وقعت لتدلّ على المعاني المعنوية عليه، فالعناصر النحوية مقترنة بحركاتها في الأواخر تقود وجهة الدلالة التركيبية وتبرزها في قوالب محكمة حاملة المعاني التامة والمفيدة، إضافة إلى ذلك، الإعراب عند المحققين النحويين يتمثل في جعل آخر الكلمة مبيّناً للمعنى الحادث فيها، ذلك بالتركيب من حركة أو سكون أو ما يقوم مقامها، كما نجد السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر) ينقل عن الزجاجي كلاماً يخوض في توضيح أسباب دخول الإعراب في الكلام، فيقول: "إنّ الأسماء لما كانت تصوّرها المعاني، وتكون فاعلةً ومفعولةً ومضافةً، ومضافاً إليها، ولم يكن في صورتها وأبنيّتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها تنبيء عن المعاني..."^(٢)، من هذا الكلام نصل إلى فكرة مفادها أنّ الإعراب موضوعٌ للإبانة عن وظائف مفردات التركيب، أو بيان منزلتها، ومن جهةٍ أخرى، نجد ابن فارس يؤكّد في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) الفكرة ذاتها، فيقول مصرحاً: " ... فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني ألا ترى أنّ القائل إذا قال: ما أحسن زيد؛ لم يُفرّق بين التعجب والاستفهام والذم والإعراب. وكذلك إذا قال: ضرب أخوك أخانا، ووجهك وجهٌ حرّ، ووجهك وجهٌ حرّ، وما أشبه ذلك من الكلام المُشْتَبِه... فأما الإعراب فيه تُميّز المعاني، ويُوقّف على أغراض المتكلّمين. وذلك أنّ قائلًا لو قال: ما أحسن زيد، أو ما أحسن زيد، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد. "^(٣)، أمّا إذا ذهبنا إلى كتاب المثل السائر نجد ابن الأثير يُقدّم تصوّراً آخر عن مسألة تحديد الدلالة عبر الإعراب، فيقول: " . . . وكذلك لو قال قائل: ما أحسن زيد، ولم يبيّن الإعراب في ذلك، لما علمنا غرضه منه، إذا يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه، أو يريد به الاستفهام عن أي شيء منه أحسن، ويحتمل أن يريد به الإخبار بنفي الإحسان عنه، ولو بيّن الإعراب في ذلك، فقال: ما أحسن زيداً، وما أحسن زيد، وما أحسن زيد، علمنا غرضه، وفهمنا مغزى كلامه، ولا تُفرد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يُعرّف به من الإعراب، فوجب حينئذٍ بذلك معرفة النحو، إذا كان ضابطاً لمعاني الكلام، حافظاً لها من الاختلاف."^(٤)، يتّضح لنا من حديث العلماء عن وظيفة الإعراب في التركيب أنّه يسهم بنصيب كبير في تحديد معنى التركيب اللغوي، مثال ذلك عندما يقول قائل: "هذا قاتلٌ أخي" بتتوين قاتل، ويقول "هذا قاتلٌ أخي"، من دون تتوين قاتل على أنّه مضاف، فمعنى الأول أنّه لم يقتله، ومعنى الثاني أنّه قتله، وعُرف به، ومثال ذلك أيضاً قولنا: "هذا غلاماً أحسن منه رجلاً"، فالمراد هنا إثبات الحال قي شخص واحد، وفي قولنا: "هذا غلامٌ أحسن منه منه رجل"، فالقصد هنا أنّهما شخصان وليس شخصاً واحداً.

(١) فاضل السمراني: معاني النحو، ٢٢/١.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تح. محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ٨٨/١.

(٣) أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح. مصطفى الشومي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر-بيروت، ١٩١٣م، ص ٥٥.

(٤) ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي-مصر، ١٩٣٩م، ٣٠/١.

من الكلام السابق نصل إلى حقيقة تُقضي إلى أن الإعراب فرغ من المعنى، يشارك في تحقيقه، كذلك المعنى يشارك في الإعراب، فالمتكلم قد يتوصل من المعنى إلى حقيقة الإعراب الذي بدوره يوصل إلى الدلالات الدقيقة للكلام.

*-المبحث الثاني: (العناصر النحوية وتوجيه الدلالة النصية):

١-عناصر التركيب الاسمي:

من المعلوم أن التركيب الاسمي ما تركب من عنصرين نحويين هما: المبتدأ والخبر، فالمبتدأ بوصفه عنصراً نحوياً مُجرّداً من العوامل اللفظية للإسناد، هو جنسٌ يشمل الصريح والمؤول، مُخبرٌ عنه بخبر يزيله من دائرة التجرد والمجهول، إضافةً إلى أنه عنصرٌ محكوم عليه من قبل الخبر، وحكم التركيب الاسمي ودلالاته لا تثبت إلا بإسناد هذين العنصرين في بنية واحدة.

إذا نظرنا في قصيدة/وصف الحمى/ نجد أن المتنبّي استعمل العناصر النحوية الاسمية كمفتاح للدخول إلى عالم القصيدة، والولوج في معانيها، فهو يفتح النص قائلًا:

"قليلٌ عائدي سقمٌ فؤادي...كثيرٌ حاسدي صعبٌ مرامي" (١)

؛ هنا في هذه التراكيب تصرّف الشاعر بالعناصر النحوية(المبتدأ، الخبر) فوجدناه قد قدّم الخبر وأخر المبتدأ، فقد جعل الخبر (قليلٌ) في نية التقديم؛ هو على وزن(فعليل) الذي يدلّ على معنى الاستقرار والثبوت في الحدث، إضافةً إلى تنكيهه بتكوين الرفع؛ الذي بدوره يضع القارئ في جوٍّ من الإبهام والغموض واللامحدودية ليكشف معالم تلك الصورة السوداوية التي تعتق روحه بسبب ثقل مصيبيته المتمثلة في تكاثر الحُساد وقلّة الحيلة، والعائد الضعيف شبه المعدم، إضافةً إلى ذلك، فإنّه من المعلوم أن المبتدأ ما كان معلوماً عند الكاتب، والمجهول هو الخبر، فيأتي الكاتب بالأمر الذي يعلمه المُخاطب فيجعله مبتدأ، ثم يأتي بالمجهول عنده فيجعله خبراً عن المبتدأ، والشاعر في قصيدته رسم منوالاً تركيبياً مستقيماً، سار فيه على توظيف العناصر النحوية بقالب انزياحي، فأخر وقدّم؛ أحرّ المعلوم وقدّم المجهول، فإذا نظرنا في علة ذلك يتضح لنا الآتي: ١. استعمال صيغة /فعليل/ بدلالاتها على الدوام واستقرار المعنى.

٢. تنكير الخبر بتكوين الرفع/قليلٌ، سقمٌ، كثيرٌ، صعبٌ/.

٣. إضافة المبتدأ إلى ياء المتكلم/عائدي، فؤادي، حاسدي، مرامي/.

٤. الوصف بالاسمية / المبتدأ والخبر/.

إنّ استعمال الشاعر العناصر الاسمية في تراكيبه النصية، وانزياحها عن وتيرتها التركيبية الطبيعية يشي بمحاولة الشاعر أن يرسم لوحةً للقارئ ألوانها المعاناة والمرض والمأساة، ذلك أنّ العناصر النحوية التي وظّفها تتراوح بين التعريف والتكثير، والتقديم والتأخير، فهذا الأمر يدلّ دلالةً واضحةً على ثبوت الحسد والمرض وقلّة الحيلة والرزق في حياته، كأنّه في صراع داخلي عميق بينه وبين نفسه التي يوجّه إليها هذه الأوصاف والأحداث، كما أنّه تابع النسيج على المنوال ذاته فنجدّه يقول:

"عليلٌ الجسم ممتنعُ القيام...شديدُ السُّكر من غير المدام"٢

٢. السابق، ص ٤٣٣

١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبّي، ٤/٤٣٣.

هنا في هذا البيت يُكْمَلُ المتنبّي رسم لوحته السوداء، لكن سياقاً تركيبياً مختلفاً، إذ نجده يحذف المبتدأ ويُذكر الخبر، أي أنّه قلب الآية فذكر المجهول وأخفى المعلوم، والتقدير: (أنا عليل الجسم، أنا ممتنع القيام، أنا شديد السكر)؛ هذا الحذف النحوي للمبتدأ يعود برصيدٍ ظلامي على نفسية الشاعر وحياته، فتغييبه لذاته في هذا التركيب الاسمي يحكم على نفسه بالنفي والاضمحلال روحاً وجسداً، فإنّ تغييبه ذاته بحذف المبتدأ يحكم على نفسه بالسجن في قاع الهموم والأتعاب التي تتزاحم عليه بالعشرات، هذا الأمر دلّت عليه صيغة /فعل/ عندما ذكر (عليل، شديد)، التي تحمل دلالة الاستقرار والثبوت، فهذه الأمراض النفسية والاجتماعية التي يعاصرها الشاعر مداومة على إرهاقه، وإزهاق نشاطه، إضافةً إلى ذلك، تعريف الشاعر للأخبار في البيت الثاني بالإضافة إلى ظاهر دون الضمير كما في البيت الأول؛ فهذا أيضاً فيه دلالة على رغبة الشاعر في تفرغ شحنته الداخلية الملونة بالأسى والممزوجة بالانهيار، فلجأ إلى التفصيل والتوضيح بالإضافة إلى اسم ظاهر، وترك الضمير الذي يكتّني عن الشيء ولا يخدم دلالة التركيب الشعري.

كل هذه الأمور التي أوردها الشاعر في سياق تراكيبه الاسمية من حذف وتقديم وتأخير، إنما كان عبارةً عن مواد أوليّة طوّعها الشاعر بين يديه ليحوّل المشهد الجامد إلى مشهدٍ ناطق، فيبهر المتلقي ويجذب سمعه وذهنه ليّدقّق في لطيف تعبيراته ودلالاتها الغنية، وكما يقول ابن هشام الأنصاري في شرح قطر الندى: "القصّد من اشتراط تعريف المحكوم عليه أو تخصيصه إنما هو اجتلابُ إصغاء السّامع إلى كلام المتكلّم حتّى يعرف الحكم بعد معرفة المحكوم عليه؛ فإذا تقدّم الحكم كان السّامع مقبلاً على المتكلّم مصغياً إليه؛ ليعرف المحكوم ولو بالنوع؛ فافهم ذلك وتمسك به" (١).

وفي موضعٍ آخر يقول المتنبّي:

٢

"وزائرتي كأنّ بها حياةً....فليس تزور إلا في الظلام" (٢)

٣

"كأنّ الصّبح يطردها فتجري....مدامعها بأربعة سجام" (٣)

يتمثّل القبح الجسدي عند الشاعر بتلك الحمى التي لحقت به، فيجسّد هذه المعاناة المريرة مع الحمى بتوظيف التركيب الاسمي في البيت الأول مُركّباً من (زائرتي=مبتدأ مفرد مضاف إلى ضمير)، و(كأنّ بها حياة= خبر؛ جملة مركّبة من ناسخ واسمه وخبره)، فقد عبّر الشاعر عن الحمى بتصويرها بصورة الزائرة التي تأتيه ليلاً لتقتل فعلتها في جسده وتستبدّ به ألماً ومرضاً، فنلاحظ أنّ الخبر هنا وقع جملةً منسوخةً بكأنّ ولم يأتي اسماً ظاهراً، ذلك فيه دلالة على اتّساع سيطرة الحمى واستبدالها بجسد الشاعر، والجملة أقوى من المفرد وأعمّ من الكلام، هذا كلّه يصبُّ في صالح إظهار مدى سوء هذه الحمى وثقلها الذي تحتلّ ليل الشاعر بواسطته، فالناسخ النحوي يحمل معنى الإزالة، فعندما نقول نسخت الشمس الظلّ أي أزالته، من هنا نصل إلى حقيقة مفادها أنّ الناسخ يرفع حكم المبتدأ والخبر بعد دخوله مُقَيِّداً عاملاً عليهما، فعندما قال الشاعر في البيت الثاني: (كأنّ الصبح يطردها)؛ سار على المنوال التركيب ذاته فجعل الخبر جملةً والمبتدأ مفرد معرفة، ورفع الحكم عن المبتدأ والخبر فنصب الأول ورفع الثاني، أي أنّ عمل المُقَيِّدِ الناسخ ظهر في العناصر النحوية للتركيب الاسمي وتحقّق، والحمى أيضاً كان لها الأثر ذاته؛ فقد اقتحمت ليل الشاعر وسكنت جسده وغيّرت طبيعته تماماً كما دخل هذا الناسخ على عناصر التعبير الاسمي ورفع حكمها، وأحدث فيها

(١) ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ١١١، ١٩٦٣م، ص ١١٨.

(٢) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبّي، ٤/٤٣٣.

(٣) السابق، ص ٤٣٣.

التغيير، فالسلوك النحوي للناسخ (كأن) كان يحمل القوة الكافية ليرسم لنا صورة التأثير القوي للحمى، ومدى ملازمتها للشاعر صباحاً مساءً، فهذا الناسخ تتأتى قوة سلوكه النحوي من مصدرين؛ الأول أنه يشبه الفعل في تأثيره، والثاني أن خبره وقع في البيتين بتركيبتين مختلفتين؛ جملة فعلية (يطردها)، وشبه جملة (بها)، فالجملة الفعلية تدل على الحدوث المستمر والتجدد، وشبه الجملة وقع خبراً مقدماً ليحمل دلالة الاشتهار بالوصفية، وليثبت هذه الأوصاف القبيحة لصورة الحمى، فالشاعر في نهاية المطاف يضع العناصر النحوية المناسبة في الموضع المناسب، بطريقة تقود فيه هذه العناصر دلالات النص ومقاصده.

٢- عناصر التركيب الفعلي :

تتمثل الصورة الأساسية للجملة التي مسندها فعل، في أن يتقدم الفعل على المسند إليه كما في جملة (أقبل محمد)، ولا يتقدم الفاعل على الفعل إلا لغرض يقتضيه المقام، لحظنا في كلام العلماء أن الجملة التي مسندها فعل إنما تدل على الحدوث تقدم الفعل أم تأخر، فالفعل يحمل دلالة التجدد والحدوث، وإذا نظرنا في نص المتنبي، نجده يستعمل التركيب الفعلي في إثبات مراده وغاياته، فلننظر في قوله :

" بذلت لها المطارف والحشايا... فعاقتها وباتت في عظامي" ()

نجد في القول السابق أن الشاعر يجعل من التعبير الفعلي الماضي مفتاحاً لبيته، وهو في الوقت نفسه مفتاح لفكرته، فأورد الفعل (بذلت) متصلاً ببناء الرفع المتحركة، فالحدث ماضٍ ومنقطع بعد دخوله حيز الحياة ومضي الأمر، فالمتنبي يُظهرُ استهلاكه لكل ما في باطنه، وأقصى طاقته لتزليل هذه الحمى ثقلاً عنه، فما أزالته، وقررت البقاء في عظامه تستبد به ألماً وبؤساً، فالشاعر قال: (بذلت) ولم يقل (أبذل)، لأنه لو استعمل المضارع لحصر تأثير الحمى في الزمن الحاضر فقط، وبذلك لا يكون قد أدى التعبير بكامله وأحدث نقصاً في المعنى، بل هو يريد أن يُصور قدم هذه الحمى بالزمن الماضي لتكتمل بين يديه تلك الصورة البشعة التي يلونها التعب والمعاناة والاستهلاك، فالتعبير بالماضي في هذا الموضع السياقي دليل واضح على موت الحدث، والقطع بثبات الحمى واستبدالها بجسد الشاعر، إضافة إلى ذلك، اتصاف الفاعل الذي هو ضمير الرفع المتصل (ت) بالفعل (بذل) اتصافاً تاماً كأنه جزء منه، فالفعل صحيح سالم وهو مزيد بالضمير الذي هو فاعله، هذان العنصران بهذا القالب التركيبي هما دليل واضح على توكيد استقرار الألم وتوكيد صحة خبر الحمى وحقيقتها السوداوية، بعد ذلك نجد أن الشاعر استعمل شبه الجملة (لها)، فالجار (ل) أضاف أثر الفعل ونقل معناه إلى المجرور الذي هو ضمير الغائب (ها)، فهذه الحركة تثبت لنا اتجاه فعل البذل نحو الحمى، لا نحو غيرها، وإزالة الشك تماماً في أن يكون فعل البذل لغيرها، فلو قال (بذلت عليها) لصار الاحتمال وارداً بالألّا يكون البذل لها مباشرة، ذلك أن الاستعلاء لا يخدم مراد الشاعر، كذلك فإن موجة التساوة التي تعتلج صدر الشاعر لا يشبعها إلا حرف الجر اللام الذي يبدي من خلاله دلالة تعليل حدث البذل بالحمى وتوجيهه نحوها لتخفف ثقلها وأثرها عليه، كما أن تعدي الفعل (بذلت) إلى المفعول (المطارف) الواقع بصيغة الجمع، يعطي دلالة نصية تتمثل في التكاثر وإظهار المبالغة، فالمفعول به مُقيدٌ تركيبياً بالعامل الذي هو الفعل (بذلت)، كما أنه عطف على المفعول به فقال: (والحشايا)، وبهذا جعل المطارف والحشايا يشتركان تحت حكم الفعل، هذا يقود دلالة النص نحو ملامح التكاثر والاستغراق في تطبيق حدث البذل حتى وصل للرمق الأخير، على مستوى الشكل والمضمون، كما أنه لم يقل (الحشايا والمطارف)، بل قال (المطارف والحشايا)، ذلك لأن الشاعر أظهر بذله للعنصر الخارجي الذي يغطي جسده، فالحمى تأتي أسبابها من

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ٤/٤٣٣.

الوجود الخارجي، ثم تتسأب إلى باطن جسد الشاعر فتُحدث أثرها في أعضائه الداخلية، فيبذل لها الظاهر والباطن لنتزاح عنه، ثم نجده يقول: (فعاظنها)، فقد عطف الفعل (عافت) على الفعل (بذلت) بالفاء التي تعيد التعقيب دون التراخي في الزمن، هذه النقطة تدلّ دلالة واضحة على اضمحلال الزمن بين حدثي البذل والعوف، فيرسم الشاعر بهذا العطف بين الفعلين شراسة الحمى، ومباغتتها له رغم استغراقه البذل في سبيلها، فالحدث المباشر دون التراخي في الزمن يرسم صورة المساواة ونية هذه الحمى في سكن عظام الشاعر، وإحداثها للفند في صميمها، كما أثبت هذه الفكرة قوله: (وباتت في عظامي)؛ فقد تعدى الماضي التام بفي الجارة التي تحمل دلالة الظرفية المكانية، فهو لم يقل (سكنت أو بقيت في عظامي)؛ ذلك لأنّ الماضي المعلوم (بات) يضمن استمرار بقاء الحمى وثباتها في جميع الزمن الماضي، كما أنّ التعبير بالزمن الماضي يدلّ على النقص الذي رافق مباغته الحمى لجسد الشاعر، ولو أنّه عبّر بالفعل التام المعلوم (سكنت) أو (بقيت)، لاحتمل أن يكون تأثير الحمى مؤقتاً وليس مستمراً، بينما التعبير بالماضي (بات) هنا يشي بلزوم تأثير الحمى وتوكيد استقرارها وملازمتها لجسد الشاعر، كما أنّ في الجارة نقلت معنى الفعل (باتت) وأضافته إلى المجرور (عظامي)، ذلك فيه دلالة على تمسك الحمى وتشبّثها بذات الشاعر فلا تكاد تتركه.

وفي موضع آخر يقول الشاعر:

"يضيقُ الجلدُ عن نفسي وعنهما.....فتوسعه بأنواع السِّقام" (١)

ويقول أيضاً في السياق ذاته:

"إذا ما فارقتني غسّلتني.....كأنا عاكفان على حرام" (٢)

يوظف الشاعر الفعل المضارع في البيت الأول (يضيقُ، فتوسعه)، ذلك لأنّه في صدد تقديم مشهد يخص تلك الحمى تلتصق به التصاقاً لا يستطيع معه الحراك، تصل إلى درجة تضيق الجلد عنه وعنهما، ففاعل الفعل الأول (يضيق) فاعل غير حقيقي؛ ذلك لأنّ الجلد لا يضيق من دون سبب أو تأثير أمر معين يتعرّض له، فهذا الضيق مستمر ومتجدّد، ثمّ بدأ الشطر الثاني بالفعل (فتوسعه)، وهو ضد الضيق، فقد عطف الشاعر بين التعبيرين المضارعين بفاء التعقيب والعطف، التي تنفي وجود مدى زمني بين الحدثين، فهذا التناقض بين التركيبيين الفعلين المضارعين يجعل القارئ يغوص في عمق تلك الحالة المزمية التي يعيشها الشاعر تحت وطأة الحمى المقيتة، إضافة إلى ذلك، فهو لم يقل (ينحصر، أو ينقبض)، بل قال (يضيق) لأنّ فعل الضيق أقوى في التعبير من فعل الحصر والانقباض، هو يعطي التأثير الذي يناسب الصورة الجسدية السلبية من جرّاء أثر الحمى، كما أنّه لا يوجد زمن بين حدثي الضيق والاتساع، فهذا يعطي دلالة التخيّب والاضطراب، فيرتبط عدم استقرار السياق عبر هذا التناقض بين الفعلين وتتابعهما بحالة الشاعر بعد أن فتكت الحمى بجسده، كما أنّ فاعل فعل الضيق وقع اسماً ظاهراً مُتّصفاً بفعله، وفاعل فعل الاتساع وقع ضميراً مستتراً، فبين الظهور والاستتار للفاعل يلتبس القارئ إبداع الشاعر الذي قدّم بفضل مخيلته الشعرية صورةً تتخللها ألوان الغرابة ويطرأ عليها الانزياح والتناقض، حتّى تمكّن الشاعر من إخراج مشهد التقلّب والاضطراب الذي يخالجه بسبب تأثير الحمى، فاستتار الفاعل في الفعل المضارع (توسعه) ووروده بصيغة التخفيف، فلم يقل الشاعر: (فتوسعه) بالتضعيف، فهذه الخفة في البناء التركيبي للمضارع بيّنت للقارئ مدى السرعة في أداء الحدث وتطبيقه، فهذه الحمى تنشر سمومها بسرعة تنتفض في جسد الشاعر بشكل مباشر، فهي تقتحم فراش الشاعر ليلاً

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ٤/٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٣.

وتباغت عظامه، لتعيث بعد ذلك ألماً وفساداً، أما في البيت الثاني نلاحظ أنه استعمل الفعل التركيب الفعلي في سياق التركيب الشرطي غير الجازم، فنجده يقول: (فارقتني، غسّلتني)؛ فقد جاء بفعل الشرط والجواب بصيغة الماضي، لكن فعل الشرط هنا امتلك خصوصية دلالية تؤدّي مراد الشاعر، فهو لم يقل (تركتني، أو غادرتني) ففعل المغادرة يحتمل أنّ المغادر قد يعود بعد حين من الزمن، أما فعل الفراق ليس فيه عودة بعد الرحيل، وهنا تكمن الصورة الجمالية التي كوّنّها الشاعر، التي تتمثّل في أنّ هذه الحمى تشبه المرأة اللعوب العاشقة المستبّدة، التي إذا فارقت الشاعر غسّلته بعرقه، كأنهما ارتكبا معاً معصية، فأورد المكوّن النحوي الأول (فارقتني) بصيغة الماضي وفي موقع فعل الشرط، وجاء بالصيغة ذاتها في جواب الشرط، وربط الجملتين بأداة الشرط (إذا)، التي تقيد توكيد الحدث بعدها والقطع بحصوله من دون الشك به، هذا

يُنْبئ أنّ الشاعر يربط الأسباب بالنتائج، فيؤكّد ما افتعلته الحمى ويثبته عبر ربط فعلي الشرط والجواب بالأداة (إذا)، إضافةً إلى ذلك، وقوع جواب الشرط بصيغة (فعل) التي تقيد التدرّج والتمهّل في تطبيق الحدث، وفي المعنى، هذا الأخير يدلّ دلالة واضحة على بشاعة المشهد، فالحمى تستبّد بجسد الشاعر وتمارس تأثيرها بشكل متدرّج فكأنها تستمتع بتعذيب الشاعر على مراحل حتى تجعله يتجرّع الألم بدقائقه، ولتزيد في عذابه، فهي تشبه المرأة الغربية العاشقة التي تباغت الشاعر ليلاً فتتمنى أن يبقى الظلام سائداً على الطبيعة كي لا تفارقه. في نهاية المطاف تمكّن الشاعر بفضل توظيفه لعناصر الحقل الفعلي التركيبي من إثبات مقاصده، ورسم صورته الشعرية بطريقة جمالية، كما يستطيع القارئ أن يلتصم معالم مقدرته الشعرية من خلال استقراء توظيفه هذا .

٣- عناصر التركيب الإضافي:

يقول سيبويه في مسألة الإضافة ومعانيها: "إذا لُقبت مفرد بمفرد أضفته إلى الألقاب وهو قول أبي عمرو ويونس والخليل، وذلك قولك: هذا سعيدٌ كرزٍ، وهذا قيس قفةٌ قد جاء، وهذا زيد بطةٌ. فإنما جعلت (قفة) معرفةً لأنك أردت المعرفة، التي أردتها إذا قلت (هذا قيسٌ)، فلو نُوتت قفة صار الاسم نكرةً لأنّ المضاف إنما يكون معرفةً ونكرةً بالمضاف إليه" (١) . من كلام سيبويه نجد أنّ فائدة الإضافة تكمن في أنّ المضاف والمضاف إليه معاً يعينان الاسم ويوضّحانه، ويزيلان الإبهام عنه، فالإضافة من صيغ التعريف، الكاتب عندما يلجأ للإضافة تكون في نفسه نيّة تعيين المقصود، فعلى سبيل المثال: إنّ إضافة الاسم إلى اللقب تقيد أنّ الاسم لا يتعيّن تماماً إلا بإضافته إلى لقبه، فهما معاً يعينان الاسم بصورة محدّدة.

نلاحظ في قصيدة/وصف الحمى/ أنّ الممتبي استعمل الإضافة بكثرة في سياقات تراكيبه، هذه الكثرة تتأتّى من رغبته في توضيح المقصود وتعريف صورته، وتوجيه الدلالة لتخدم مراده، وتعبيره، فنجده يقول :

"أراقب وقتها من غير شوقٍ.....مراقبة المشوق المستهام" (٢)

كما يقول في سياقٍ آخر:

"أبنت الدهر عندي كلُّ بنتٍ.....فكيف وصلتِ أنتِ من الرّحام" (٣)

(١) سيبويه: الكتاب، ٤٩/٢

(٢) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان الممتبي، ٤٣٣/٤ .

(٣) المصدر السابق، ٤٣٣ .

في البيت الأول استعمل الشاعر الإضافة التركيبية المحضة، فوقع المضاف إليه جنس نكرة مفرد معنوي (شوق)، والمضاف وقع مجروراً ب من الجارة الناقلة لأثر فعل المراقبة إلى المضاف المجرور، هذا كله يصب في صالح تعيين المضاف إليه وتوضيح دلالة التركيب المتمثلة في إظهار الشعور الأليم والنفور من تلك الحمى المستبدة، ذلك أن حدث المراقبة يسترعي الاهتمام بالمراقب، وتتبع تفاصيله، أو يكون بغية التحبب، لكن هنا يفاجئ الشاعر القارئ بإضافة (غير) إلى (شوق) فيظهر بذلك استنكاراً للمقصود، وعدم تحبب وجوده، ثم نجده يتابع هذا الاستكراه والنفور فيضيف بسياق آخر إلى المصدر توكيداً لحقيقة شعوره وما يعتلجه من جزاء الحمى، فيقول (مراقبة المشوق)، فوقع المضاف في قالبٍ وصفي معرّف بآل التي تحمل دلالة المبالغة؛ فهي مراقبة تفصيلية، وجّهت مقصدية الشاعر الذي يسعى نحو تبيان مدى كرهه ونفوره الشديد من الحمى، فنراه يورد المضاف إليه في الشطر الأول بصيغة المصدر النكرة، فالمصدر حدث مجرد لا يرتبط بزمن ولا بفاعل، هذا يدل على أن الشاعر يستغرق نفي الشوق في كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل وإن كان هناك من يثير هذا الشوق أو لم يكن فهو ينفر ويستكره وجود هذه الحمى وقيامه بمهمة المراقبة هذه، ذلك يزيد في تعبه وإرهاقه، ثم نراه يستعمل الإضافة إلى المصدر في قوله: (مراقبة المشوق)؛ فالمضاف إليه المعرّف بآل القصورية للمبالغة أزلت التوهّم عند القارئ الذي يكاد يظن أن المراقبة لمحبوبة معشوقة ينتظرها العاشق، ويعدّ الدقائق للقائها، فهو في هذا التركيب استعمل العناصر التي تحمل في جعبتها دلالة قوة الاستنكار وتبيان سوداوية هذه الحمى، وتعريف المضاف إليه بآل هنا في هذا الموضع يعطي الدلالة النصية لونا من الخصوصية والمبالغة في التعبير، فهذه الحمى ذات تأثير خاص وفريد فلا تشبه أي حمى أخرى في أثرها وآلامها، هذا الأمر استدعى هذا النوع من فعل المراقبة عند الشاعر، وفي البيت الثاني يقول: (أبنت الدهر)، فقد وقعت الإضافة اللفظية في سياق أسلوب النداء، فأورد الشاعر المضاف إليه بصيغة اسم جنس مفرد معرّف بآل وإضافة (بنت) إليه، ففي تعريف المضاف إليه دلالة على تعيين مفرد من الجنس، ذلك يفضي إلى أن الشاعر ظلّ ردحاً طويلاً يرزح تحت وطأة الألم الذي تصدره الحمى وتشره في كامل جسمه، مناداتها بالبنت وإضافة (بنت) إلى المنادى يدل على مدى فاعلية هذه الحمى وسيطرتها، والتصاقها بجسد الشاعر وبروحه، كما أن ذكره للطرف المكاني (عندي) مضافاً إلى ضمير المتكلم، يعطي دلالة العموم والإحاطة بالشاعر خارجياً وداخلياً، فهو لم يقل (لدي)، أو (بحوزتي)، لأن (لدي) ظرف يفيد التخصيص، ولا يخدم الدلالة المراد إظهارها، كما نجده يورد الإضافة إلى لفظ العموم والشمول فيقول: (كل بنت) فقد أضاف لفظ العموم إلى اسم جنس نكرة يعطي دلالة الشيع والاستغراق في الجنس في قالب من اللامحدودية والإبهام، فهو يستغرق بهذه الإضافة كل أفراد الجنس، هذا يقود الدلالة النصية نحو فكرة السيطرة والاستيلاء التام الذي تمارسه الحمى رغم تراحم عشرات الهموم والأمراض على قلب الشاعر، كما يقول الشاعر أيضاً في سياق آخر:

"يضيق الجلد عن نفسي وعنهما.....فتوسعه بأنواع السقام" (١)

نلاحظ أن الشاعر أضاف لفظ (النفس) إلى ضمير المتكلم المتصل بالمعمول المجرور (نفس)، الذي تلقى المعنى المضاف إليه من قبل الفعل (يضيق)، بواسطة عامل الجر (عن)، هذه الإضافة تنتج دلالة عميقة تتمثل في الإشارة إلى عمق تأثير الحمى ومضاعفاتها الشديدة على جسد الشاعر ونفسيته، فهو لم يقل (عن جسدي)، أو (على جسدي)، بل اختار لفظ النفس ووضعه في رتبة المضاف لأن النفس إذا تلقى تأثير المرض فإنه يؤدي إلى انهيار

(١) عبد الرحمن البرقوقى: شرح ديوان المتنبي، ٤/٤٣٣.

الجسد كاملاً على مستوى الباطن والظاهر، فالنفس إذا تعبت شقى الجسم وأثقلت أعضاؤه، ذلك أن عملية التنفس لها الاثر الأكبر في مسألة الألم والمرض في حال تعرضت للأذية، ومنها ينطلق التأثير إلى الجسد والهيكلي الخارجي، ووقوع المضاف إليه ضميراً في محل جر يشي بتعيين المُصاب وإظهار موجة البؤس بسبب حدث الضيق وتوضيح شدة طبيعته، كل ذلك كان له النصيب الأكبر في توجيه الدلالة وتحديد وجهتها بما يخدم غاية الشاعر ومقصده.

٤- الأدوات النحوية:

لا يخلو نص لغوي من وجود جملة من الأدوات النحوية التي تقوم بوظائف نحوية تركيبية تؤثر في مسألة توجيه دلالات النص، وتثبيت أفكاره، فالكاتب لا يخرج عن هذا المنوال في تأليفه لنصوصه وضبطه لها، من هنا نلاحظ أن المتنبي في قصيدته/وصف الحمى/، يستعمل الأدوات النحوية المناسبة في موقعها المناسب، وبما يوافق مقتضى الحال، كما نجد أنه لا يأتي بأداة من حقلٍ تركيبيةٍ واحدٍ، فهو يستعمل الأدوات الاسمية والأدوات الحرفية، من جملة ذلك قوله :

"جرحت مجرحاً لم يبق فيه.....مكانٌ للسيوف ولا السهام" (١)

فالشاعر في البيت السابق استعمل (لم) حرف النفي والقلب والجزم، الشاعر ينفي هنا بواسطة (لم) المضارع المقلوب إلى الماضي، فهذا النفي كان لمعتلٍ ناقصٍ، هذا الأمر يذهب بالدلالة إلى حيزٍ مليءٍ بعلامات الانقطاع والانفصال التام، فلم يكن هذا النفي عادياً، فهو اختار (لم) ولم يختار (لا)، ذلك أن استعماله (لا) لن يفيد بالعرض، لأن (لا) تنفي الحال والاستقبال لكنها لا تعمل في حال دخولها على الجملة الفعلية، كما أنها ستعطي احتمالاً يقضي بأن ضرر جسد الشاعر وقبحه الجسدي بسبب الجروح يكمن في اللحظة الحاضرة، أي من المحتمل ألا يمتد تأثيره، بينما النفي ب(لم) أقوى وأشد بلاغةً في التعبير في هذا السياق كونها تنفي الحدث في الزمن الماضي وتظهر انقطاعه، وهذا ضربٌ من التوكيد والإثبات، إضافةً إلى استعمال الشاعر لأداة تنفي وتعمل هو الأساس في تقوية الدلالة وترسيخ المعنى الذي يتمثل بنفي بقاء شبر واحد من جسد الشاعر إلا وأصابه الضرر، كما نجد قوله في السياق ذاته:(مكانٌ للسيوف ولا السهام)؛ نلاحظ أن واو العطف جاءت مع (لا) النافية في تركيبٍ واحدٍ يعكس صورةً بشعةً يشوبها الأذى، والقبح الجسدي، فالواو جعلت المعطوف(للسيوف)، والمعطوف عليه(السهام) يشتركان في حكم منفي، هذا دليلٌ واضحٌ على القطع بوجود فسحة في جسد الشاعر لتلقي الطعنات، فجسده من كثرة المرض والمعاناة لم يعد بمقدوره تلقّي المزيد من الآلام، فعندما جعل الشاعر العطف بالواو مقترناً بلا النافية المهمله حمل التركيب النحوي أقصى طاقات التوكيد لينفي نفيًا تاماً لا يحتمل الشك وجود علامات الحياة في جسده، وتصوير قبحه الجسدي بسبب ما افتعلته الحمى، كما نجده في سياقٍ آخر يقول:

"ويصدقٌ وعدها والصدقُ شرٌّ.....إذا ألقاك في الكُربِ العظام" (٢)

الشاعر استعمل واو الحال في قوله (والصدق شرٌّ)، هذه الواو تتعلق ما بعدها بما قبلها، ذلك من خلال توضيح الحالة التي تمّ خلالها الفعل، فهذه الواو أظهر من خلالها الشاعر حالة الوعد الذي تبديه الحمى، الذي لا يمت للصدق ولا للوعود الحقيقية بصلة، فهو أدخل واو الحال على الجملة الاسمية التي مبتدؤها مصدر (والصدق شرٌّ)، ولم يقل(وصدقها شرٌّ، ووالوعدُ شرٌّ)؛ ذلك أنه لو قال(ووعدها شرٌّ)، لكان المعنى يقتضي بأن وعددها صادقٌ لكن في حيز

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ٤/٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٣.

الشر لا الخير، وهنا يكون التصور أن الوعد قد يصدق في اتجاه محدد دون الآخر ، أما في حال قال (والصدق شر) فهو يجعل دلالة التركيب عامة لا مقتصرة على الوعد أو تطبيقه، فالمراد هنا أن هذه الحمى تصدق وعدها بالشر وتصدق في أمور أخرى تثير الضرر والألم غير ما ذكره، هذا الأخير تؤكد لصورة الحمى البائسة واستغراقاً في سوداويتها في كل الأزمان والحالات، ذلك أن المصدر (الصدق) حدث مجرد لا فاعل له ولا زمن، هذا دليل على أن الحمى قابعة في هذه الحالة السوداوية المصورة ولا تقتصر سوداويتها على تطبيق الشر فقط فإن صدقت أو لم تصدق هي هي، ثم نراه يقول: (إذا ألقاك)؛ هنا يورد (إذا) الظرفية متجردة من معنى الشرطية، وتتجه نحو الإشارة إلى الحدث المقطوع الحصول، والمؤكد، فهو لم يقل (إن ألقاك)؛ ولو قال ذلك لاحتمل المعنى الشك والتقلب، ولكانت الدلالة تتجه إلى عدم اليقين بأن صدق الحمى سيقود إلى الهلاك والعذاب، لكن استعمال الشاعر ل(إذا) الظرفية في دلالتها على الاستقبال والقطع بوقوع الحدث أزال كل معالم الشك أو حتى نفي قابلية أن يكون صدق الحمى إيجابياً، وتوكيد هذا النفي والقطع به.

وفي موضع آخر يقول:

" إذا ما فارقتني غسلتني... كأنا عاكفان على حرام" (١)

هنا يورد الشاعر صيغة مختلفة، فيقول (إذا ما)، فيجعل ما الزائدة تلحق إذا الشرطية غير الجازمة، ففي هذا توكيد لصورة الحدث، وإثبات بشاعة المشهد الذي يتمثل بغسل الحمى للشاعر بعرقه لكثرة ما أرهقت جسده وفتكت به ألماً، وما الزائدة بعد إذا الشرطية هنا في هذا الموضع زيادة في التوكيد والقطع بالحدث، وزيادة في مصداقية الدلالة على الصورة المرادة، كما أنه يستعمل كأن الناسخة فيقول (كأنا عاكفان على حرام)، هذه الأداة الحرفية تمتلك قوة دلالية في مضمار التشبيه، فقد قال فيها الفراهيدي إنها أداة ثنائية البناء مركبة من كاف التشبيه وأن، فبذلك يتحد فيها معنيان هما التشبيه والتوكيد، إضافة إلى ذلك، لها وظيفتها البلاغية التي تجعل المشبه هو نفسه المشبه به ولا يختلف عنه في صورته أو تفاصيله كأنهما لونان يمتزجان في لوحة فنية واحدة، وهنا الشاعر لم يستعمل هذه الأداة الحرفية من فراغ، بل وضعها في الموضع الذي يناسب طبيعة المشهد السلبية، وما يزيد في إثبات ذلك قوله (كأنا) ولم يقل (كأنا)، فقد افتعل انزياحاً في المبنى يعكس انزياحاً في طبيعة الدلالة النصية، فهو يشبه ما افتعلته الحمى بجسده بممارسة الفاحشة مع امرأة عاشقة لعوب، تسكن فراشه ليلاً وتقتات من صحته، وإحداث النقص في مبنى الأداة الناسخة يزيل أي أثر للشك في معالم الصورة المراد تمثيلها وتوصيلها للقارئ، فهذه الحمى ناقصة في أفعالها وأثرها وصورتها فيها نقص كبير كأنها امرأة اعتادت ممارسة الفاحشة، فهي لا تنفك عن هذه الصورة السيئة المعالم وخبثية الملامح، كل ذلك يفضي إلى نية الشاعر في الاستغراق والزيادة في توكيد هذه الصورة القبيحة وتشبيتها، كما أن الشاعر من خلال قصيدته اعتاد استعمال الأدوات التي تحمل في جوفها علامات القوة في الدلالة والمعنى، ومن ذلك قوله:

"أبنت الدهر عندي كل بنتٍ....." (٢)

نلاحظ استعمال الشاعر لحرف النداء للقريب (أ)، استعماله لهزمة النداء يعكس قوة المشهد، كما يعكس الموجة الانفعالية الباطنية في ذات الشاعر، الذي ما عاد يطبق هذه الحمى، وما عاد يشعر بالحياة تجري في جسده بسببها، هذه المناداة ليست كأى مناداة، فحرف الهزمة حرف للنداء القريب مؤغلاً في الحرفية لفظاً وفي الفعلية معنى، فهو بمنزلة

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ٤/٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٣.

الفعل (أدعو ، أنادي)، هذه الاتحاد التركيبي المائل في حرف النداء يعكس قوة في الدلالة ورسوخاً في المعنى، لأن الشاعر ينادي بحرقة داخلية، ينادي وفي نبرة ندائه يسكن الألم والتعب، كما أنه اختار النداء بالقرب، لم يقل (يا بنت)، بل قال (أبنت)، ليدل بذلك على مدى قرب الحمى ومرافقتها لجسده كمرافقة ظلّه له، هذا ينبئ بشدة التصاق الحمى بجسده كأنها تكاد تكون جزءاً منه .

في نهاية المطاف لم يكن توظيف الشاعر الأدوات النحوية سواء كانت اسمية أم حرفية أم فعلية من فراغ، ذلك لأن الشاعر ينظم تراكيبه بدقة، فلا يترك مشهداً أو صورةً إلا ويضع العناصر اللغوية المناسبة لتمهّد له، أو لتدلّ عليه، هذا الأمر يجعل القارئ قادراً على تأمل النظم التركيبي عند الشاعر في قصيدته، الذي يفضي إلى جمالية النظم الشعري وجمالية اللغة الشعرية لديه.

٤. الخاتمة:

بعد الخوض في الدراسة النظرية والتطبيقية السابقة، تمّ الخروج بالنتائج الآتية:

- ١-العناصر النحوية المكونة للبنية النصية لها الأثر الأكبر في توجيه الدلالات النصية، وإظهار الإشارات المعنوية الخفية في ما وراء النص.
- ٢-يعود الانسجام والبلاغة في أسلوب المتنبي وتأليفه إلى حسن تخيره للتركيب النحوية ذات القوالب الدلالية المطابقة لمراده، والموافقة لطبيعة صورته ومقاصده.
- ٣-أحسن المتنبي في النظام التوفيقي والنظام الاختياري؛ فقد اختار العناصر النحوية واللفظية التي تتناسب غاياته وإشاراته، ثم وضعها في رصفٍ خاصٍ يتوافق مع رغبته الباطنة وخطه الانفعالي.
- ٤-استعمل الشاعر عناصر التركيب الاسمي، واستغلّ العلاقة الإسنادية بين هذه العناصر لتوجيه الدلالة في سياق المعاناة من الأمراض الاجتماعية، وتصوير الفقر والفاقة والحرمان .
- ٥-استعمل الشاعر عناصر التركيب الفعلي وما يرتبط بها في توجيه الدلالة في سياق مقارعة الحمى، وإظهار تأثيرها في القبح الجسدي وزرع علامات الألم والانهيال .
- ٦-استعمل الشاعر عناصر التركيب الإضافي في تعيين صورة المُصاب وحقيقة المقاساة التي تتلبس جسده الضحية .
- ٧-استعمل الشاعر الأدوات النحوية الحرفية والاسمية في سياق تثبيت الصورة الحقيقية لما افتعلته الحمى الأليمة في جسده وروحه، وتبيان مدى القبح الجسدي الناتج عن ممارساتها.
- ٨-أظهرت التراكيب النحوية في قصيدة وصف الحمى مدى قدرة المتنبي الإبداعية وبلاغة نظمه لتراكيبه وصوره الشعرية، كما وضّحت ملامح الجمال والشعرية في أسلوبه وتعبيره.
- ٩-أسقط المتنبي المجاز على العناصر النحوية في سياق النص من حذف وتقديم وتأخير بغية إشداده نظر القارئ واجتلاب سمعه وفكره للغوص في تعبيراته وتلمس بلاغة الدلالة.

٥. المراجع.

- ١- أحمد بن فارس: *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، تحقيق. مصطفى الشويبي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، ١٩١٣م.
- ٢- إبراهيم أنيس: *من أسرار اللغة*، المكتبة المصرية-القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.
- ٣- تمام حسان: *اللغة العربية معناها ومبناها*، الهيئة المصرية للكتاب-مصر، ط٢، ١٩٧٩م.
- ٤- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: *الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية*، تحقيق. محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- ٤- الحاج صالح عبد الرحمن: *مدخل إلى علم اللسان الحديث*، مجلة في علم اللسان البشري، جامعة الجزائر، ط١، ١٩٧١م.
- ٥- سيبويه: *الكتاب*، تحقيق. عبد السلام محمد هارون، الناشر. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج١، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٦- ضياء الدين. ابن الأثير: *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي-مصر، د.ط، ١٩٣٩م.
- ٧- طه حسين: *مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، مصر، ط٢، د.ت.*
- ٨- عبد الرحمن البرقوقي: *شرح ديوان المتنبي*، دار الكتاب العربي-بيروت، ج٤، د.ط، ١٩٨٠م.
- ٩- فاضل السامرائي: *معاني النحو، دار السلاطين للطباعة والنشر والتوزيع-الأردن، عمان، ط١٠، ٢٠١٠م.*
- ١٠- أبو الفتح عثمان. ابن جني: *الخصائص*، تحقيق. محمد علي النجار، دار المعارف-القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٢م.
- ١١- أبو القاسم الزجاجي: *الإيضاح في علل النحو*، تحقيق. د.مازن مبارك، دار النفائس للنشر والتوزيع-بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٦م.
- ١٢- محمد بن الحسن. الرضي الاستربادي: *شرح الرضي على الكافية*، تصحيح وتعليق. بيونس حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس-ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م.
- ١٣- محمد بن علي. الصبان الشافعي: *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*، تحقيق. د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية-بيروت، لبنان، مج١، ط١، ١٩٩٧م.
- ١٤- محمد بن سهل بن السراج: *الأصول في النحو*، تحقيق. د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٦م.
- ١٥- مهدي المخزومي: *في النحو العربي-نقد وتوجيه-*، منشورات المكتبة العصرية-صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.
- ١٦- محمود عكاشة: *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة*، دار النشر للجامعات-القاهرة، ط٢، ٢٠١١م.

١٧- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط١١، ١٩٦٣م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، حقوق الصف والتصميم والنشر محفوظة للناشر- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٧م.